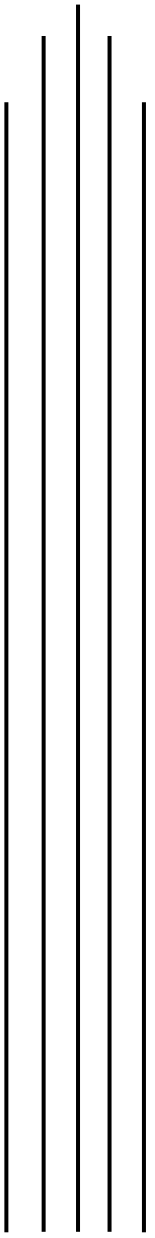
المؤرخ
عبدالرحمن الملّاحي
عن كثب



بقلم
أ.د. عبدالله سعيد بن جسّار الجعيدي

دار الأسعاء
للدراسات والنشر



المؤرخ

عبدالرحمن الملاحي

عن كثب

رقـم الإيــداع بـالهيئـة العـامـة لـلكتـــاب م/ حضـرمـوت (٢٣٣) لعـام ٢٠١٩م

عنوان الكتاب : المؤرخ عبدالرحمن الملَّاحي عن كثب

المؤلف : أ.د. عبدالله سعيد بن جسَّار الجعيدي

الإخراج الفني: حسام علي بامحسون

الناشر

دار الأسعاء للدراسات والنشر

الشحر – حضرموت – اليمن – ت: ٠٠٩٦٧٧٣٨٤١٠٢٧١

الطبعة الأولى

١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

حقوق الطبع محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي.

المؤرخ

عبدالرحمن الملاحي

عن كثب

بقلم

أ.د. عبدالله سعيد بن جسّار الجعيدي

تقديم

أ. عادل حاج باعكيم

الإهداء

إلى أستاذي الجليل المؤرخ

عبدالرحمن بن عبدالكريم الملاحي .. محبَّة ووفاء.

عبدالله

التَّقديم

الملَّاحي والجعيدي .. نظراتٌ من الدَّاخل

بقلم/ أ. عادل حاج باعكيم

ليس من السَّهل على التلميذ التحدُّث عن أساتذته بشكل عام، وأصعب من ذلك الحديث عن الأساتذة الذين لهم دورٌ بارزٌ في بلورة الفكر وتحديد توجهات الحياة ومسيرتها. ترددتُ كثيراً وأطلت التفكير حينما طلب مني أستاذي المؤرخ أ.د عبدالله سعيد الجعيدي أن أتولى تقديم كتابه هذا الذي جمع بين دفَّتيه مقالاته عن أستاذنا الجليل المؤرخ عبدالرحمن عبدالكريم الملاحي – رحمه الله تعالى – وذلك لما للاثنين من حظٍّ وافر بداخلي، وما لهما من فضل جمٍّ عليَّ على المستويين الإنساني والعلمي.

الملاحي ذلك الإنسان الجليل القدير، الذي استطاع ببساطته وعلمه الواسع الغزير، أن يصيغ جوانب عظيمة مني، بل قدَّم لي عصارة حياته بكل تفاصيلها وبكل محبتها على طبق من ذهب، فمهما قلت أو شكرت أو عملت

من أعمال البر تجاهه فلن أفي ذلك العملاق – خلقاً وعلماً – حقه أبداً – رحمه الله –.

ولد المؤرخ الملاحي بمدينة الشحر في مطلع ثلاثينات القرن العشرين المنصرم، وبها نشأ وترعرع وطلب العلم، فمن أبرز الشخصيات التي أثَّرت في مسيرته الحياتيَّة والعلميَّة والده العلامة مفتي مدينة الشحر عبدالكريم بن عبدالقادر الملاحي، وعمه المؤرخ الفنان أحمد بن عبدالقادر الملاحي، وجدته المعلِّمة الفاضلة ربيعة الجسَّاسية رحمهم الله جميعاً.

في مطلع الخمسينات من القرن الماضي أنهى أستاذنا الراحل عبدالرحمن المرحلة الوسطى ودار المعلمين ثم التحق بسلك التدريس، وقبيل التحاقه بهذا السلك حدث في حياته منعطف مهم آخر أثَّر في جوهره ومسيرته وفكره، وهو زيارة العلامة المؤرخ مفتي حضرموت عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف – رحمه الله – الذي أعجب به الأستاذ الملاحي وفتن بغزارة علمه وأفقه الواسع العميق، وفي تلك اللحظة قرَّر أستاذنا – رحمه الله – أن يمشي الطريق نفسها التي سلكها ذلك الإمام العظيم ابن عبيد الله السقاف.

خلال فترة توليه التدريس تنقَّل الملاحي في جميع أرجاء حضرموت، وكانت مذكرته ترافقه دائماً أينما حلَّ وكيفما ارتحل، فدوَّن الكثير عن المناطق وسكانها وعاداتهم وغير ذلك، تلك المذكرات اعتمد عليها أستاذنا بعد ذلك عندما تفرغ للبحث في منتصف الثمانينات المنصرمة، لهذا يجد القارئ فيما خطَّته أنامل المؤرخ الملاحي تفاصيل تفرَّد بذكرها والإشارة إليها، وخاصة في التاريخ الاجتماعي المحلي الذي كان يركز عليه في كتاباته التاريخية.

لم يكن الأستاذ الملاحي مؤرخاً فقط، بل كان قبل ذلك قاصَّاً ثم كاتباً لنصوص المسرحيات التي عُرِض أغلبها في مسارح جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ومن ثمَّ الجمهورية اليمنيَّة، ومن أبرز أعماله تلك ملحمته التاريخية الرائعة (أبو عنك) التي تدور أحداثها حول المقاومة الشعبية الحضرميَّة (المشقاصيَّة) ضد المحتل الفارسي.

ومن خلال الفترة التي تشرفتُ فيها بالعيش تحت نظر ذلك الملاحي الجليل، استطعت أن أجد نفسي في طيات نفسه النقيَّة الشفَّافة التي كانت تكن الحب والتقدير للجميع من غير استثناء، بل كان يستطيع بقدرته العجيبة وحبِّه

العميق أن يحل ويحلحل عظائم المشكلات التي كان يقع فيها من هم حواليه، وكان مصدراً للطاقة الإيجابية والأفكار النيِّرة التي تدعم الشباب في جميع مجالات الحياة، لذلك كان من مصادر الإلهام عند كثير من الناس وخاصة عشَّاق البحث والتاريخ والأدب.

في الشهرين الأخيرين من حياة أستاذنا الملاحي – رحمه الله تعالى – اشتد به المرض فدخل على إثره مستشفى الشحر العام لأيام ثم نقل إلى مستشفى ابن سينا بالمكلا ثم سافر للعلاج إلى الأردن وعاد قبيل عيد الأضحى عام ١٤٣٤هـ بأيام قليلة، فكانت بعدها صحته جيدة، إلا أن الحرب الدائرة بينه و بين المرض كانت سجالاً بينهما، فاستمرت الحالة كذلك إلى يوم الجمعة ٢٧ من ذي الحجة من عام ١٤٣٤هـ الساعة الواحدة ليلاً فأتاه الملك المكلف ليأخذ أمانة ربه فسلمه إياها بكل رضا، وبعد صلاة فجر اليوم التالي الموافق ليوم السبت ٢ / ١١ /٢٠١٣م فجعت البلاد بخبر وفاة الأستاذ الملاحي فرحمه الله تعالى، فتأثر كثير من الناس بذلك.

أما الجعيدي.. فقد كان أول لقاءٍ لي به في كنف أستاذنا الملاحي بمدينة الشحر، ثم توالت اللقاءات في فعاليات اتحاد الأدباء والكتاب بالمكلا، وتوطدت علاقتي به بعد أن أشار عليَّ أستاذي الملاحي أن أستفيد من معرفته كونه من أبرز مؤرخي حضرموت في العصر الحديث.

بعد وفاة أستاذنا الملاحي لم أجد – لفترة قصيرة – من يحل لي الإشكال ومن أسترشد بكلماته وأستنير بها، إلى أن أصبحت ضمن دائرة أ.د الجعيدي، فتفتحت عندي مدارك أخرى كثيرة كانت لا تزال في بدايات نموِّها، فقرأت كتاباته واهتممت بمقالاته – قراءة وجمعاً – فتأثرت بأسلوبه الرشيق واختياراته البديعة للكلمات والموضوعات، من تلك المقالات الأنيقة انبثق كتابه (أوراق مكلاوية) ثم كتابه (عابر سبيل) وأخيراً هذا الكتاب الذي بين أيدينا (المؤرخ عبدالرحمن الملَّاحي عن كثب).

يُعدُّ هذا الكتاب – الذي بين أيدينا – من أجمل ما كتب – خفيفاً رشيقاً – عن الأستاذ الجليل المؤرخ عبدالرحمن عبدالكريم الملاحي – رحمه الله تعالى–، كتب أستاذنا أ.د عبدالله سعيد الجعيدي بعضاً من مقالاته في حياة

الأول والجزء الآخر كُتِبَ بعد وفاته، فالقارئ لمادة الكتاب – بحصافة – سيتبيَّن جوهر تلك العلاقة الإنسانيَّة العلميَّة الرَّاقية التي كانت – ومازالت – تربط بين الرجلين، والتي كنَّا شهوداً على جميع فصولها العلميَّة والإنسانيَّة.

كتب أ.د الجعيدي مقالاته تلك بأسلوبه الرشيق الرصين الذي تميَّزت به كتاباته الصحفيَّة، فتشاهده فيها ابناً وتلميذاً ومحبَّاً وصديقاً لأستاذنا الملاحي، عكست تلك المقالات خلاصة ما كنَّه وما انبعث بينهما من روحانية الكلمة واللحظة والعلاقة بل والانصاف لرجل قدَّم لمجتمعه كل ما يستطيع، ويرى الحصيف – أيضاً – ذلك الوعد الذي قطعه الثاني على نفسه للسير والاقتداء بالأول، وكل ذلك خدمة للعلم والمجتمع ورغبة في الارتقاء بهما، فرحم الله أستاذنا الجليل الملاحي، ومتعنا بحياة أستاذنا أ.د الجعيدي.. والسَّلام ختام.

عادل حاج باعكيم

الشحر ٣٠ / ١٠ / ٢٠١٩م

توطئة

المؤرخ عبد الرحمن عبد الكريم الملاحي – رحمه الله – محطة مريحة في مشوار علاقاتي مع الناس في هذه الحياة الفانية، وهو من القلائل الذين صمد تجاههم الانطباع الكريم في الإيجابية من أول لقاء تعارفي، واستمر يقوى مع مرور الأيام، ويتعمق بتعاقب الأعوام وتقلبات الأحوال، صحيح أن علاقتي بأستاذي المؤرخ الملاحي غير طويلة بعدد السنين لكنها مثمرة بالعطاء ونقية في التعامل وصادقة في التقدير.

وقد كتبت معظم مقالات هذا الكتيب في حياة الملاحي وكان – رحمه الله – بعد قراءته لكل مقال يعاتب عتاب الأساتذة الكبار الذين لا يسعون من قريب أو بعيد لكلمات المديح والإطراء ولكن كنت وما زلت أرى أن التكريم المعنوي للمخلصين لأوطانهم في حياتهم خير من أطنان الأوسمة وآلاف الكلمات وقد فارقوا الحياة إنها إشارات حيَّة تترك أثراً طيباً في النفوس وشعوراً بالرضا الداخلي.

وكان اختيار الأستاذ عادل حاج باعكيم في تقديم هذ الكتيب، والعناية به ينطلق من اعتبارات منها العلاقة الخاصة التي جمعتنا مع الفقيد الملاحي بل كان الأستاذ باعكيم الأقرب إلى الملاحي من حيث موضعه في مكانة التلميذ المريد أو المتلقي المباشر، والأهم من ذلك مكانة التقدير التي نكنها للمؤرخ الملاحي فهو ما يزال قريباً في حواراتنا، وذكرياتنا، ويبقى الوفاء الحقيقي للمؤرخ والشخصيَّة الاجتماعيَّة عبدالرحمن عبدالكريم الملاحي في نشر كل مؤلفاته المخطوطة، وفي الدعاء له بالرحمة والمغفرة.

عبد الله سعيد الجعيدي

المكلا ٢٩/ ١٠/ ٢٠١٩م

الملاحي والكتابة التاريخية في حضرموت

تمهيد:

ازدهرت حركة التأليف التاريخي في حضرموت في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي)، وذلك بظهور عدد من المؤلفات التاريخية التي تناولت التاريخ المحلي لحضرموت بطريقة الحوليات أو بتراجم وفيات الأعيان أو بالتأريخ للمدن ، وهي في ذلك تحاكي المدرسة التاريخية الإسلامية. وقد امتدت هذه الطريقة التقليدية في الكتابة التاريخية في حضرموت إلى النصف الأول من القرن العشرين، ومما ساعد على شيوعها، وامتدادها الطويل، وحدة المرجعية الثقافية واتساقها بين المتقدمين والمتأخرين.

وبلمحات عامة لهذه المصادر نجدها تحتوي على معلومات تاريخية أسهمت في تغطية جوانب من تاريخ حضرموت الوسيط والحديث. ومما يؤخذ عموماً على كتب الحوليات والتراجم أنها لا تعطي سوى القليل من المعلومات المعزولة بعضها عن بعض، وعلاوة على ذلك فهي بخيلة في ذكر أسباب

الحوادث التاريخية ونتائجها، الأمر الذي يتطلب عند التعامل معها مزيداً من الجهد، وربط النصوص التاريخية، ومقارنتها بغيرها من المؤلفات.

وقد تفاوتت تلك المصادر من حيث وفرة مادتها وأصالة معلوماتها، وتكمن أهميتها التاريخية القصوى في أنها حافظت في متونها على تاريخ المنطقة حيث دونت أحداثاً وردت في مؤلفات تعد الآن من المفقودات، وهي بهذا تعد مؤلفات في مؤلف واحد، فكان المؤرخ المتأخر يأخذ عن المتقدم ليصبح الكتاب المتأخر خلاصة للمتقدم.

ودشن المؤرخ صلاح البكري اليافعي مرحلة جديدة من التدوين التاريخي في حضرموت من خلال مؤلفه الموسوم: (تاريخ حضرموت السياسي) الصادر في عام ١٩٣٦م، وقد اتخذ البكري لنفسه منحى مغايراً لما هو سائد من الأدبيات الثقافية في حضرموت. إذ مس بأسلوبه الحاد بعض القضايا التاريخية المتواترة التي كانت بمنأى عن المناقشة التاريخية، ولا نريد الخوض في الظرف التاريخي الذي ظهر فيه كتاب البكري، وما نود الإشارة إليه أن قيمة كتاب البكري ليس في القضايا المطروحة التي أثارها فحسب، إنما في تحفيزه لكتابة تاريخ حضرموت بأساليب حاولت تجاوز نمطية الكتابة التاريخية القديمة، وإن

اتسم البعض منها بالدوران حول الروايات التاريخية القديمة الشائكة، أو بالمراوحة عندها. ومن هؤلاء المؤلفين على سبيل المثال: علوي بن طاهر الحداد، وعبدالرحمن بن عبيد الله السقاف، ومحمد أحمد الشاطري، ومحمد بن هاشم، وعبدالله بن حسن بلفقيه، وصالح علي الحامد، ومحمد علي باحنان، وسعيد عوض باوزير، ومحمد عبدالقادر بامطرف. وعلى أيَّة حال فإن هذه المؤلفات أسهمت في حركة التدوين التاريخي وانتعاشها، وعلى وجه العموم يمكن أن نصفها من حيث المنهج الذي اتبعه أصحابها بالمرحلة الانتقالية التي جمعت بصورة متفاوتة بين أسلوبي الكتابة التقليدية والحديثة.

ومما يؤخذ على معظم هذه المؤلفات هو تناولها الأفقي لأحداث التاريخ التي تتخذ عادة من حقب التاريخ المتباعدة مجالاً واسعاً تخوض في تفاصيلها وهو أمر تتجنبه المناهج التاريخية الحديثة.

الملاحي مؤرخاً :

١- مكانته بين المؤرخين المعاصرين:

عاصر الملاحي هؤلاء المؤرخين المعاصرين بيد أن من ارتبط بهم ارتباطاً مباشراً هما المؤرخان محمد عبدالقادر بامطرف وسعيد عوض باوزير، اللذان تجاوزا بمؤلفاتهما ما يمكن وصفه باللغة التاريخية الشعبية. وكان الملاحي يضع نفسه منهما في موضع التلميذ من حيث صغر سنه مقارنة بهما، ولمجالسته لهما، وأسبقيتهما في الكتابة التاريخية، وربما لمروره بمرحلة الدهشة والإعجاب في حضرتهما قبل أن يتشكل مؤرخاً له طريقته، وموضوعاته الخاصة في كتابة التاريخ.

والملاحي مثله مثل المؤرخين الحضارمة المعاصرين لم يدخل باب التاريخ عن طريق الدراسة المتخصصة، وإنما ولجه عبر فضاء التثقيف الذاتي، والاهتمام الشخصي، والانتماء الوطني. وهو وإن وُضِع في خانة جيل الموسوعيين الذين خاضوا في علوم ومعارف متعددة، فإنه في الآن ذاته لم يكن بعيداً عن جيل الأكاديميين الحضارمة الذين كتبوا رسائلهم العلمية وأطروحاتهم

عن تاريخ حضرموت بمراحله المختلفة أمثال : الدكتور عبدالله البجرة، والدكتور عبدالعزيز جعفر بن عقيل، والدكتور ثابت صالح اليزيدي، والدكتور عبدالله سعيد الجعيدي، والدكتور عبدالله كرامة التميمي، والدكتور صادق عمر مكنون، والدكتور حسن صالح الغلام، والدكتور محمد محفوظ جوبان، والدكتور عادل اليماني، ومن حملة الماجستير عبدالحكيم العامري، ومحمد باحمدان، وخالد الجوهي، وحسن باسمير، وسامي مرجان وغيرهم. فمعظم هؤلاء ارتبط بهم الملاحي ارتباطاً خاصاً من موضع الزمالة أو الصداقة أو الشراكة العلمية أو موضع المستشار، وهذا التداخل بمسافاته المتفاوتة مع أجيال ومدارس تاريخية متنوعة – فضلاً عن تثقيفه الذاتي– جعلت الملاحي يحتل مكانة خاصة في مجال الكتابة التاريخية في حضرموت، وشكل هذا هويته التاريخية الثرية التي مزجت بين أسلوب الكتابة التاريخية التي اتسمت بها المؤلفات التاريخية المعاصرة في حضرموت، والدراسات الأكاديمية مع ميل لافت لصالح استخدامه المنهجية الحديثة في الكتابة التاريخية.

مؤلفاته التاريخية :

خلال مشواره العلمي الطويل كتب الأستاذ عبدالرحمن الملاحي ما يقارب الثلاثين مؤلفاً في التاريخ يدخل فيها الكتب المطبوعة والمخطوطة والدراسات والأبحاث والمقالات، وقد تنوع هذا الإنتاج العلمي في موضوعاته ومساحته الزمنية لكنه أميل ما يكون إلى موضوعات التراث المحلي والحضاري لحضرموت منه إلى التاريخ السياسي لها وأقرب إلى تاريخها الحديث من التاريخ الوسيط والقديم. وقبل أن نستعرض الاتجاهات العامة في إنتاجه العلمي سنذكر أولاً مؤلفاته التاريخية كما ذكرها تلميذه الأستاذ عادل باعكيم في كتابه (صفحات من حياة الأستاذ عبدالرحمن الملاحي) وهي على النحو الآتي:

أ- الكتب المطبوعة:

١- الدلالات الاجتماعية واللغوية والثقافية لمهرجانات ختان صبيان قبائل المشقاص ثعين والحموم، ٢٠٠١م .

٢- الحضارم في ممباسة ودار السلام (١٩٣٠ – ١٩٦٠م)، ٢٠٠٤م .

٣- ملامح من التداخل المعرفي بين ربابنة اليمن وعُمان، ٢٠٠٦م .

ب- الأبحاث والمقالات المطبوعة:

١- تاريخ الصراع الحمومي القعيطي ودوافعه ١٨٦٧ – ١٩٦٧م، نشر ضمن أبحاث الندوة العلمية التاريخية حول المقاومة الشعبية في حضرموت ١٩٠٠ – ١٩٦٠م المنعقدة في كلية التربية بالمكلا في ٢٥-٢٦ فبراير ١٩٨٩م.

٢- نجم البلدة بين المفهوم الفلكي و المدلول الثقافي الشعبي، أصدرته إدارة مهرجان البلدة السياحي عام ٢٠٠٥م .

٢- ملامح من التوسع العمراني لمدينة الشحر، نشر في حلقات متسلسلة في مجلة شعاع الأمل الأعداد من [٢٣] إلى [٢٩] عام ٢٠٠٣م

٣- ربابنة حضرموت .. ريادة في علوم البحار و المعارف الفلكية، طبع ضمن كتاب حضرموت الوحدة .. بشائر الخير عام ٢٠٠٥م

٤- الربان بامعيبد ويوميات الطريق (١٨٠٥ – ١٨٩١م)، نشر في مجلة آفاق التراث الشعبي العدد الأول يناير – يوليو ٢٠٠٧م .

٥- الواقع الجغرافي والتاريخي والاقتصادي والاجتماعي لمدينة الشحر، طبع ضمن كتاب الشحر مدينة وتاريخ ، إصدار مكتب وزارة الإعلام – محافظة حضرموت.

٦- لمحة تاريخية على مسار تطور الواقع الثقافي بمحافظة حضرموت، شارك بها في ندوة واقع الثقافة بحضرموت وآفاق تطورها، نشرت هذه الدراسة المختصرة في مجلة الفكر

ج – الابحاث والدراسات المخطوطة:

١- الأهمية العلمية التاريخية لتراث ربابنة جنوب الجزيرة العربية في القرن التاسع عشر، كتب في ١٠ أبريل ٢٠٠٤م .

٢- مناقشة نقدية لكتاب الأضواء البهية على بعض العادات الحضرمية.

٣- دراسات في التراث الفلكي اليمني – تقويم باكريت للمنازل القمرية (بلاد المهرة) ، ١٩٨٧م .

٤- مدرسة مكارم الأخلاق الأهلية بمدينة الشحر جهود أهلية رائدة في سبيل تنمية المجتمع، كتب في ١٦ أكتوبر ٢٠٠١م .

٥- الحضارمة و الملاحة في المحيط الهندي،٢٠٠٥م .

٦- مدينة الشحر بوابة حضرموت الجنوبية التاريخية في القرنين الثامن والتاسع الهجريين، ٢٠٠٤م .

٧- الوجيز في تاريخ مدينة الشحر، كتب في عام ٢٠١٢م، بحث لم يستكمل.

٨- الصيادون .. شعرهم وعاداتهم المهنية .. دراسة ميدانية، شارك بها في مؤتمر الأدب والتراث بالمحافظة الخامسة.

٩- شعر الملاحين.

١٠- المشقاص تاريخ وتراث، دراسة كتبت في تسعينات القرن العشرين، وهي لم تستكمل.

١١- معارف الملاحين اليمنيين البحرية و الفلكية، ١٩٨٥م .

١٢- الفُرس في الشحر، ١٩٨٣م .

١٣- اليمنيون في المهاجر الإفريقية .. هجرة الحضارم .. الدوافع – الاستيطان – التأثير، ٢٠٠٦م .

١٤- الطريق التجاري البحري بين مسقط و المخا في مرشدات الربان باطايع، هذا البحث شارك به في الندوة الدولية حول التبادل الحضاري العماني – اليمني عام ٢٠١٠م .

١٥- الهوية الثقافية لمجتمع تريم وأثرها في مجتمعات المهاجر الإفريقية، كتب في عام ٢٠١٠م، شارك به في ندوة تريم عاصمة الثقافة الإسلامية ٢٠١٠م .

١٦- غناء الصيادين و الملاحين بحضرموت، كتب في ١٩٩٩/٨/٣م .

١٧- ذكريات الملاح أبي راشد، نشر في حلقات في مجلة شعاع الأمل العدد [٣٣] فبراير ٢٠٠٤م وما بعده .

الاتجاهات العامة في الكتابة التاريخية عند المؤرخ عبدالرحمن الملاحي:

لاريب أن الدراسة العلمية الدقيقة لمنهج الملاحي التاريخي واتجاهاته الفكرية تقتضي القراءة الشاملة لهذا الكم من المؤلفات والتصنيفات والتحقيقات، ومع إقرارنا بهذه الحقيقة فإننا – ومن باب (ما لا يُدرك كله لا يُترك جله)-

سنحاول في هذه الإطلالة الاقتراب من شخصية الملاحي المؤرخ من خلال قراءة لمؤلفاته الثلاثة المطبوعة وذلك بالإشارة إلى النقاط الآتية:

- بالرجوع إلى تاريخ نشر كتبه المطبوعة نجدها جميعها نشرت في العقد الأول من القرن الواحد والعشرين عندما بلغ مرحلة متأخرة من عمره فكان ميلاده في عام ١٩٣٣م، ووفاته عام ٢٠١٣م. ولهذا الأمر أسباب ومسوغات وربما فوائد ترتبط بشخصية الملاحي ذات الاهتمامات المتنوعة، إذ نجده بدأ حياته المهنية معلماً في عدد من مدارس حضرموت في عهد السلطنة القعيطية. ثم إدارياً في مكتب الثقافة في عهد جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، وكان أول ما حظي بالنشر في الصحف والمجلات ما كتبه في الجانب الإبداعي مثل: القصة القصيرة والمسرحيات.
- ولخصوصية الكتابة التاريخية المحكومة بعناصر كثيرة وتعدد اهتماماته المجتمعية ظل الهم التاريخي يحتل جانباً مهماً في أولوياته على شكل تساؤلات وكتابات توثيقية لم تجد مكانها في نشاطه العلمي إلا منذ مطلع

الثمانينيات من القرن الماضي عندما شرع ينشر بعض الأبحاث في المجلات ولعل لتأنيه في النشر فوائد منها خضوع كتاباته للمراجعة الدائمة، وكذا توافر الفرص في الإضافة والتعديل عند العثور على مصادر جديدة تسد الثغرات التي عادة ما تقف عقبة أمام الباحث في التاريخ.

- وممَّا اشتهر به الملاحي أنه كان باحثاً ميدانياً بامتياز، ويمكن وصفه بصانع المعلومة التاريخية ولعله تجاوز بذلك من سبقوه في مجال الكتابة التاريخية التي تعتمد غالباً على المصادر المكتوبة، وفي كتابه (الدلالات الاجتماعية واللغوية والثقافية لمهرجانات ختان قبائل المشقاص) يشير بأن كتابه هذا نتاج بحث ميداني دام لربع قرن منذ نُقلته التدريسية في منطقة الريدة بالمشقاص عام ١٩٥٣م، ففي هذه المرحلة وعند سماعه لبعض القصائد التراثية باللهجة المحلية القديمة حرص – بالتقاطة ذكية وحس تاريخي – على تسجيلها ثم سعى إلى تفسيرها وفك رموز كلماتها بدراسات ميدانية، وقراءات متعمقة، ويشي هذا المنحى في المبادرة التوثيقية بوجود ملمح مُبكر في شخصية

الملاحي (المؤرخ) قبل أن تتجاذبه تيارات إلى مرافئ متنوعة شغلته مدة من الزمن عن الإنجاز التاريخي في مرحلة متقدمة من حياته.

- ويمكن أن يعد هذا المؤلف المشار إليه آنفاً ضمن أهم كتبه المطبوعة وربما المخطوطة، وذلك لتعمقه في دراسة جوانب من الحياة الاجتماعية في حضرموت واستجلائه لقضايا تاريخية تعد غامضة في التراث المحلي لمنطقة المشقاص. ولولا هذا الجهد الصبور لاندثرت من الذاكرة الجمعية المشقاصية المعلومات المهمة التي دونها فيه، وربما هذا يحمسنا – دون مبالغة – في وصفه بالمرجع الوحيد، وصاحب شرف الريادة في بعض الموضوعات التي تناولها بالبحث والتقصي.
- وما دُمنا نتحدث عن الملاحي المؤرخ أو الباحث كما يوصف فإننا نميل إلى توصيفه بالمؤرخ فليس كل باحث مؤرخاً، بل العكس هو الصحيح. وإذا وجد من يميّز بين مصطلحي المؤرخ والباحث باعتبار الفرق بين زمن الاشتغال بالتأليف بينهما أو بعدد الكتب المنشورة، فإن البعض يقدم الباحث على المؤرخ من حيث الأهمية العلمية بوصف المؤرخ ربما يكون سارداً للمعلومات وحاطب ليل بينما الباحث يتميز

بروح التقصي والتحري ووضوح الأهداف والوجهة، وكيفما كان القول فإن المعايير الحقيقية للأهمية العلمية لأي مؤلف تكمن في الكيفية التي يقدم المؤلفون بها كتاباتهم ومدى رصانتها وصدقها. وتفضيلنا للفظة المؤرخ لمن تصدى للكتابة التاريخية بالبحث والنشر لأنها تبدو لنا أكثر وضوحاً وتحديداً من لفظة الباحث المفتوحة المعاني، والمتنوعة الدلالات.

- وعودة إلى مؤلفات الملاحي المطبوعة وفي كتابه (الحضارم في ممباسة ودار السلام) نجده يمارس هوايته الميدانية في استخراج مادته العلمية عن المهاجرين الحضارمة القدامى ممن ألقوا عصا الترحال، أي دراسة ظاهرة الهجرة من خلال المهاجرين أنفسهم، وينم اختياره لعيّنات الدراسة التي اعتمدت معيار كبر السن وسلامة الذاكرة وتنوع النشاط والاهتمام عن فطنة وفرادة مقارنة بمعاصريه من المؤرخين، وقد سبقه في ذلك (فان دن بيرخ) في كتابه (المستوطنات العربية في الأرخبيل الهندي١٨٨٦م) ترجمة د. مسعود عمشوش لكن بمنحى مغاير أي بدراسة واقع حضرموت من خلال دراسة واقع المهاجرين الحضارمة في إندونيسيا.

صحيح أن الدراسات الميدانية للظواهر الاجتماعية من الناحية النظرية هي الأقرب للتعمق والفهم، ومع هذا فإنه ولاهتمامات الملاحي بدراسة حركة الهجرة والملاحة البحرية قدم مادة علمية استجلى من خلالها جوانب من هذه الهجرة وعلاقات المهاجرين فيما بينهم وأشار إلى ملاحظة مهمة تتعلق بنظام التراتب الاجتماعي في حضرموت وكيف كاد أن يتلاشى في بلاد المهجر عندما يمارس المهاجرون مهناً وحرفاً ينظرون إليها بعين الازدراء في وطنهم، مما يدخلهم – كما لاحظ الملاحي – في علاقات إنسانية أكثر ترابطاً منها في الوطن، كما أنه يقترب من دراسة الشخصية الحضرمية ومحاولة استظهارها من خلال التركيز على جوانب القوة فيها.

وفي هذا الكتاب انتقد الدراسات الأجنبية عن الهجرة الحضرمية ووصفها بالزائرة التي ركزت على المهاجرين في مهاجرهم دون أن تتعمق في دراسة المهاجر نفسه وسلوكه ودوافع هجرته.

وفي كتابه (التداخل المعرفي بين ربابنة اليمن وعمان) نلاحظ التوظيف السياسي للفظة اليمن بدلاً من التسمية العلمية (حضرموت)،

فالملاحي لم يشر في كتابه إلا لربابنة من حضرموت. كما وجدت في كتبه المطبوعة الأخرى إشارات كثيرة استبعدت منها لفظة حضرموت ووضعت لفظة اليمن عِوضاً عنها ولعله بذلك يبعد عن نفسه تهمة المناطقية أو التعصب الضيق، وهذا الاحتواء المضغوط بخطاب السياسة كان سائداً في كثير من الأدبيات التاريخية (والثقافية عموماً) الحضرمية منذ عام ١٩٦٧م وما بعدها.

- وبنظرة لعنوانات الأبحاث التاريخية المشار إليها أعلاه وكتابه الثالث المطبوع (ملامح من التداخل المعرفي بين ربابنة اليمن وعمان) نجد أن معظمها يدور حول الملاحة البحرية والمعارف الفلكية التقليدية، وهي معارف وعلوم لا تحفز على البحث والدراسة لندرة مصادرها وصعوبة مصطلحاتها البحرية والفلكية وارتباطها بالمرويات الشعبية الشفاهية والمخطوطات المملوكة للعائلات التي اشتهر رجالها بركوب البحر وقيادة السفن الشراعية. لكن هذه الصعوبات لم تقف حائلاً أمام الملاحي العاشق للتاريخ بل جعلته في حالة بحث دائمة عن ضالته داخل بيوت الربابنة وروزناماتهم. وإذا سمحنا لأنفسنا بتحديد تخصص دقيق

لاهتمامات الملاحي التاريخية مستوحى من تلك العنوانات البحثية المتنوعة فإن المجال التاريخي الذي نال حيزاً واسعاً من اهتماماته هو تاريخ الملاحة البحرية في حضرموت ومتعلقاتها.

- وتتم مصادر ومراجع المؤرخ الملاحي التي استفاد منها عن اطلاع واسع على كتب التراث القديم العربية والأجنبية، وأكسبته هذه المعرفة التاريخية القدرة على الاستنتاج ومقارنة النصوص، من ذلك كتب اليونان والرومان والنقوش القديمة، والمصادر الكلاسيكية العربية والمحلية وكذا المصادر والمراجع العربية والأجنبية الحديثة. ومن بين مصادر التاريخ نجد الملاحي قريباً من الآثار القائمة وبقاياها يدور حولها ويحاول استنطاقها.
- وفي الآن نفسه تحتل المرويات الشفاهية المحلية وقصص الخيال الشعبي المرتبطة بثقافة الهجرة مكانة في مراجعه التاريخية يحاول توظيفها تاريخياً بعد مقاربتها بنصوص معتمدة وتحريرها من الشوائب. وفي ذلك كتب المؤرخ الملاحي : " هذه المرويات الشعبية المغلفة بخيال العقلية المحلية القديمة صغتها ونسجتها بإطارها الأسطوري غير أنها تحمل في طياتها وقائع حقيقية – كغيرها من حكايات الخيال في

الموروث العربي والعالمي – تعزز واقعيتها الشذرات المتناثرة في كتب التاريخ" وهو بهذا يرتفع من مستوى رواية الأخبار إلى استجلاء المعاني العميقة التي تحملها.

- لقد تجاوز الملاحي مرحلة الكتابة التاريخية الأفقية التي اتسمت بها معظم المؤلفات الحضرمية، واختار لمؤلفاته وأبحاثه ودراساته نقاطاً محددة من حيث التحديد الزمني، ووحدة الموضوع ودقته، مما قربه من المناهج الحديثة في الكتابة التاريخية دون أن يكون ذلك نسقاً صارماً، إذ نجده في مواضع كثيرة يتحرر من النمطية الحديثة في الكتابة التاريخية مع التركيز على الموضوع المتناول بالبحث والدراسة، وذلك بتتبع ملابساته واستكناه غموضه، وهذا ما جعله يحتل مكاناً لائقاً في صفوف المؤرخين الحضارمة المعاصرين.

عبد الرحمن الملاحي .. ذاكرة الشحر

ترددت كثيراً عندما راودتني فكرة الكتابة كخواطر عن أستاذي القدير عبد الرحمن الملاحي، لأن ذاكرتنا الجمعية (العربية) تعد ذلك ضربا من التشاؤم والفأل غير الحسن، رغم إيمان الكثير منا العميق بالقضاء والقدر. وما شجعني على الكتابة معرفتي الخاصة بتدين أستاذي ومسحته الصوفية. إن الذكر الحسن لمن لهم إفضال علينا لهو من باب الوفاء المحمود وله فوائد كثيرة ... ولأن ما نكتبه عبارة عن خواطر فليعذرنا القارئ أن الخاص فيها سيطغى على العام.

أنا والملاحي في الهواء ..

كانت أول معرفة لي بالأستاذ الملاحي عن طريق قراءتي لما يكتبه في الصحف والمجلات، ثم ما أسمعه عنه من بعض الأصدقاء عندما نتجاذب أطراف الحديث في الشأن الأدبي والتاريخي ،بخاصة تاريخ الشحر والملاحة البحرية. أما أول مشاهدة مباشرة فكانت سنة ١٩٨٩م في كلية التربية بالمكلا (جامعة عدن) عندما حضر مشاركاً في ندوة المقاومة الشعبية في حضرموت وكنت حينئذ طالباً في المستوى الرابع تخصص تاريخ .ثم جرت أيام ودارت

شهور وانطوت سنون، وإذا بي أرى الأستاذ الملاحي للمرة الثانية في صالة مطار الريان وكلانا كان مستعداً للسفر إلى عدن ....كنت في ذلك الوقت طالب ماجستير في كلية الآداب جامعة عدن في السنة الأولى التحضيرية ،وقد كلفت ضمن تكليفات أخرى من قبل الأستاذ الدكتور سيد مصطفى سالم تحقيق بضع أوراق لمخطوطة يختارها الطالب، وقد اخترت مخطوطة (تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر).....و في أثناء التحقيق واجهتني بعض المصاعب في تفنيد وتفسير بعض الأحداث التاريخية وبعض الألفاظ العامية (الشحرية) التي تعود إلى القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي . لهذا مثل الملاحي هدفاً وغنيمة لابد من الظفر بها ولأن صالة المطار غير مناسبة (للغزوة) فقد دبرت خطة سريعة تضمن جلوسي بجانبه في الطائرة أو بالقرب منه ....وتحقق ما أريد ها هو هدفي بجانبي وكتفي بجانب كتفه و بيدي تحديد لحظة الانقضاض وما إن استقرت الطائرة في الهواء وأذن لنا بفك الأحزمة المقيدة لتحركاتنا، حتى بدأت هجومي المباغت فأمامي ٥٠ دقيقة لابد من استغلالها في حوار مركز ومباشر ثم – وهو الأهم – أحاول تثبيت أساسات جسور علاقة صداقة مستقبلية .... ولكن النوايا الماكرة التي أحملها، والمؤامرات المدبرة، والخطط المرسومة،

فشلت في دقائق معدودات وتحول السحر على الساحر ولكن مع تعديل ذكي في أسلوب المواجهة من قبل أستاذي، تكسرت بموجبه حواجز، واختصرت مسافات وأصبح البساط (شحرياً) وجرت بيننا مناقشة هادئة وودية وتحصلت على اكثر مما أريد، والوقت في الهواء مر كالهواء .

وفي الشحر اللقاءات مستمرَّة ...

في أواخر سنة ١٩٩٤م أنهيت السنة التحضيرية لدراسة الماجستير ولم أحسم بعد قراري في اختيار موضوع الرسالة، وكنت أميل قليلا لتحقيق مخطوط (النفحات المسكية في تاريخ الشحر المحمية) لباحسن ، وكان لزاما علي أن اشد الرحال للمرة الثانية إلى مكتبة المخطوطات بتريم لأطلع عن قرب على النسخة الأصلية وأنسخ بعض الأوراق لتقديمها مع مشروع البحث. وفي تريم التقيت بالشيخ علي سالم بكير....

ثم كان لابد من زيارة الشحر والملاحي للتشاور. وبعد ترتيب يسير للقاء وجدتني في عقر داره ومعقله، وقد ذكرت لأستاذي خياراتي في تحديد موضوع الرسالة شارحا وجهة نظري ،ثم عقب على هذه الخيارات مبينا أهميتها جميعا ،

وبدبلوماسية الشحري تعمد أن يكون القرار النهائي نابعا من قناعاتي ، بعد ذلك غادر الغرفة لثوانٍ وأحضر لي نسخة مصورة من مخطوطة النفحات المسكية (مشروع الرسالة) وعرض تقديمها لي عند استقرار رأيي على دراستها وتحقيقها....المهم شاء الله أن لا تكون هذه المخطوطة موضوع الرسالة لأسباب لا داعي لذكرها ..... بعدها عيّن الدكتور أحمد محمد بن بريك (الشحري) مشرفا على رسالتي بموضوعها الجديد. ولعلاقات الصداقة الخاصة بين الأستاذين فقد أشار علي المشرف بعرض بعض المباحث على الملا حي للاستفادة من خبرته وثقافته ، وقد فتحت هذه المشورة المجال لاستمرار التواصل بيننا . وواقع الأمر كانت الملاحظات والتصويبات التي دونها الأستاذ الملاحي أو التي قالها مشافهةً بمثابة دروس حية نبهتني إلى أمور كثيرة تتعلق بالبحث التاريخي ومسالكه الوعرة .

إن من أفضل ما تعلمته من أستاذي الملاحي (ولازلت أتعلم) ...التواضع، الاستماع الجيد، الإخلاص في الرأي والنصيحة، الروح المرحة اللمحات الذكية، والكرم العلمي الواعي .وهذه الصفات والقيم لا يدخلها التكلف من قريب أو من بعيد بل نجدها جزءاً طبيعياً من سلوكه وشخصيته وبعد إحدى

زياراتي للملاحي دونت انطباعاتي ومما جاء فيها... إنه ابن الشحر وابن المدينة الذي لا تمل مجالسته ولا تستطيع أن تفعل شيئاً حياله، إلا أن تحبه وتحترمه .

لا تـزال متنوعـة إبـداعات أسـتاذنا الملاحـي مـن الأدب والعـادات الاجتماعيـة والهجرة إلى الملاحة البحرية والتاريخ ، وتحتل الشحر وأهلها الحيز الأوسع في اهتماماته. ولعلنا لا نبالغ لو قلنا: إنه ذاكرة الشحر وحارس تاريخها

الأستاذ عبد الرحمن الملاحي ... المكان بالمكين

تستمد الأماكن خصوصيتها من سكانها لهذا يقال المكان بالمكين،فخلال زياراتنا العديدة لمنزل أستاذنا المؤرخ عبد الرحمن الملاحي لم يلفت نظرنا مساحة غرفة الاستقبال أو الضيافة التي لا تتجاوز ٣×٤متر، وعندما نشرنا الصورة المرفقة مع هذا المقال في موقع الفيس بوك الشهير علق بعض الأصدقاء على تواضع الغرفة وتمنى فيلا في منطقة الحامي لأستاذنا القدير، ولكن الملاحي الذي نعرفه نظنه سيقول إن قال : الشحر والغرفة ولا القصور العالية في مدينة الحامي رغم محبته الخاصة للحامي وأهلها.

إن ظاهر غرفة شيخنا بلغة العيون صغيرة بيد أنها بلغة القلوب عامرة كقلبه الكبير، راسخة بحكمة جبل ضبضب، أليفة كالشحر، كريمة كالبحر، مريحة كالنسمات، حنونة كابتسامة طفل عادت إليه أمه بعد غياب. إنها غرفة يجب أن تقاس بفضاءات الثقافة، وأعماق التاريخ وخفة الروح وصدق المشاعر. عادة ما يحضرني في هذه الغرفة قول حاتم الطائي:

أُضاحِك ضيفي قبل إنزالِ رَحــلِهِ ** ويخصب عندي والمحل جديب

وما الخِصبُ للأضيافِ أن يكثر القرى ** ولكنَّما وجه الكريم خصيب

وجاذبية صاحب هذه الغرفة نلمسها عند الاستعداد لزيارتها وذلك من خلال ترحيب الأصدقاء إذا عرضت عليهم فكرة الزيارة فالكل يكون حريصا على هذا الشرف ، وكم فشلت بينهما مشاورات في غير تلك الوجهة ، لهذا تجد البعض منا يكرر أن الملاحي (أطال الله عمره) تحصّل على قدر معقول من تقدير الناس بعد عمر قضاه في خدمة مجتمعه معلما ومثقفا ومسئولا وباحثا ومؤرخا.

عندما روى لي قصة علاج إحدى عينيه في المملكة العربية السعودية أحسست أن أهم ما يتمناه المبدع الصادق هو التقدير المعنوي من الناس ففي جلساتنا الخاصة عرفت مشاكل شيخنا الصحية ورغم علمي بتعدد أحبابه ومجرد الإشارة منه يمكن حل أكثر المشاكل إلا أنه لعزة نفسه آثر تحمّل المرض تاركا الأمور لتدبير مولاه الوحيد.

في زيارة له لقصر الشيخ عبدالله بن أحمد بقشان تلبية لدعوته وبحضور عدد من أمناء جامعة حضرموت لفتت مشكلة النظر في إحدى عينيه اهتمام الشيخ سالم احمد باسمح ودون تردد طلب من أستاذنا تجهيز نفسه للعلاج في السعودية على نفقته ولكن الشيخ الدكتور عبدالله سعيد باخشوين أراد أن يكون

الشرف لصديقه الشيخ عبدالله بقشان فما كان من الأخير إلا أن كتف شيخنا بوعود عامرة بالمحبة والتقدير وانتصر بقشان.

غير أن المنتصر في ذلك المشهد الجميل هو قيم الخير والتعاضد والتقدير الذي مثّله الحاضرون بالكلمة الصادقة والوعد الناجز وفي ظني لو أعطي الملاحي على يمينه الدنيا وعلى شماله تقدير الناس ومحبتهم لاختار الثانية، أستاذنا العزيز لك ولمعلمينا وشيوخنا كل التقدير والاحترام.

العلم... بين تقدير المال وغيرته (الملاحي نموذجاً)

ترد في أغلب المؤلفات المتخصصة بتراجم العلماء والمصلحين إشارات تحمل بعد ذكر المناقب معنى واحدا: (أنه عاش فقيراً أو على الكفاف) فهل يجتمع العلم والمال في بيت واحد؟ جاء في القرآن الكريم أن المال والبنين زينة الحياة الدنيا، ومن جانب آخر رفع القرآن مكانة العلم والعلماء إلى ما هو أفضل من الزينة وأسمى من الحياة الدنيا، فالعلماء ورثة الأنبياء وعلمهم قبس من نور الله، وفوق كل ذي علم عليم.

إن المال والعلم لا يمثلان قطبين متنافرين كما قد يبدو من تساؤلنا السابق بل في زواجهما أو تقاربهما الفوائد العظيمة على الأفراد، والمجتمعات، وقد قصدنا من ذلك التساؤل أن العصامي في طلب المال ونظيره في طلب العلم لن ينجحا إذا ما سلك كل منهما الطريقين معا .ويهيئ المال إلى ركوب الآفاق إذا دخل مخلصا مدينة العلم من أبوابها والعلم يفتح أبواب الرزق والخير والنور.

إن الباعث لكتابة هذا المقال موقف عرضي واجهه الأستاذ عبد الرحمن الملاحي مع رجل من أهل التجارة في إحدى المنتديات الثقافية التي جلس فيها محاضرا، وقد حدثني به دون أن يقصد الإساءة لأحد.

نظم هذه المحاضرة أفراد من أهل العلم والتجارة يكنون للأستاذ الملاحي الاحترام والتقدير. المهم بينما كان أستاذنا يرد على استفسارات الحاضرين دخل الضيف الثري إلى المنتدى، وهو لا يعرف أي معلومة عن المحاضر، واستمر الحاضرون في الاحتفاء بالملاحي ومحاضرته ويبدو أن الغيرة الشخصية إن لم نقل شيئا آخر داخلت الضيف عندما وجد نفسه خارج دائرة الاهتمام ومعه من الخزائن ما ظنها لن تصرف أحدا عن الاهتمام به ولاسيما (أصحاب الكلام) وفي تدخل مفاجئ يفصح عن ما قلناه سأل الرجل سؤالا للمحاضر لا يتناسب مع المقام والمكان وهو:

هل ستشتري باخرتي من البضائع الراسية في الميناء؟؟

وكانت الإجابة: نعم إذا بعتها وانتظرت الدفع بالتقسيط المريح.

والأمر لا يحتاج إلى كثير عناء لنكتشف ما خفي من تلك الصفقة الهجومية ولأن كثيرا من التساؤلات تتخفى وراء تساؤلات فكان السؤال الحقيقي

هو يا محاضر: من أنت؟؟ وكم معك من المال؟ ولماذا تجاهلني الناس في حضرتك؟ وهم في مواضع كثيرة يتمنون أن أرد عليهم السلام؟

وإذا وصفنا رد أستاذنا الملاحي باللطيف والمهذب فإنه في جوهره يتحدث عن تجارة مغايرة وبورصة لا تفصح عن أرقامها المتحركة إلا في القلوب والعقول لهذا استمرت مؤشرات الصعود في ما تبقى من دقائق تلك الجلسة الثقافية لصالح المحاضر، وزملاء كثر لصاحب السؤال قدروا العلم حق قدره، وحصدوا الأرقام والنقاط التي لا تشترى بمال، ولا توجد في أسواق البواخر.

الملاحي.. حِلْم المصلحين

في المساعي لتوحيد الكلمة، وتقريب وجهات النظر، غالبًا ما تجد المؤرخ عبدالرحمن الملاحي (يرحمه الله) في مكان قريب، يسنده في ذلك القبول العام لشخصيته الاجتماعية الموقرة، ومع هذا لم تكن مساعيه الحميدة – كغيره من المصلحين – مفروشة بالورد، بل كانت محفوفة بالأشواك. ذات يوم كنّا في مدينة الشحر في مكان يتحاور الناس في أمور حياتهم ومستقبلهم، وكالعادة كان الملاحي من المتصدرين، وبينما كان أستاذنا يواصل كلماته الطيبة المخلصة فإذا برجل شحري – غير معروف لنا – يقوم متبرمًا، وموجهًا كلمات غير لائقة لشيخنا الجليل، وفي الآن ذاته يردد الأسطوانة صديقه الجالس بجانبه في مشهد يبدو أعدّ له مسبقًا.. المهم كنّا أمام موقف أليم، فالأخ الشحري لم يحترم مكانة المتحدث وكبر سنه، ولم يقدّر له الأعباء التي يتحملها جراء استمراره في العمل العام الوطني التطوعي.

أمَّا أستاذنا الملاحي فقد استقبل الكلمات بصمت الحكماء، وحلمهم، وعندما أعيد الميكروفون إليه شكر الجميع على الحضور دون أن يعلّق أو يبدي أي

ملاحظة، وكأن شيئًا لم يكن.. مع نهاية الفعالية استمر أخونا يتمتم بكلماته غير الطيبة! لعله ازداد غيظا لتجاهل الملاحي له .. في تلك اللحظات وفي غمرة دهشتنا لم يكن حزننا على ما أصاب الأستاذ الملاحي من أذى بالكلمات، بل أيضًا من ذلك المستوى الذي وصلت إليه أخلاق بعض (الناس) مع كبرائهم ومراجعهم..

بعد فعالية الذكرى السنوية الأولى لرحيل الملاحي وفي المكان نفسه الذي شهد الحادثة السابقة كان الأخ صاحب الكلمات التي بلا قرار حاضرًا وقابلني بحفاوة (الأصدقاء) بعد غيابهم الطويل، ومع هذا بدا كأنه في وضع المعتذر المثقل بمشاعر الندم، أو هكذا أحسست، فشددت على يده وبادلته الحفاوة بالحفاوة واستكملَت لغة العيون بقية الكلام..

وقبيل مغادرتنا مدينة الشحر بادرت صديقنا الشحري بتحية الوداع فازدادت ملامحه بشاشة على بشاشة، لعله استشف قبول عذره نيابة عن الملاحي الإنسان، ومدرسته الخلقية المتسامحة. في حين كنت أراني في موقف الشاهد العابر على صلح شحري جميل حضره جميع الأطراف.

المؤرخ الملاحي ... لسانك حصانك

قد يأتي على الإنسان حين من الدهر يدخل في تجربة أو موقف يكون له صدى في وجدانه، وأثر في أعماقه أكثر من أي زمن آخر، هذه المواقف قد تكون مشهداً حزيناً أو خبراً مبهجاً أو كلمة صادمة أو نصيحة ماضية، فكم نسمع من نصائح ومواعظ، وكم نقرأ من محاسن الكلم التي تحث على رباطة الجأش والتصرف السليم ولكن تتفاوت الاستجابة للمواقف بعوامل ترتبط بسيكولوجية الأفراد، وخبراتهم في الحياة، قد تكون محكومة بعوامل أخرى كثيرة.

وكما أن الشعوب المندفعة إلى مآلات غير منضبطة لا تنتبه إلى سوء المصير إلا (بعد خراب مالطا)، فإن هناك أشخاص لا يتعلمون إلا بعد أن يمروا بصدمات وعثرات استثنائية تكون بمثابة جرس إنذار (وكل دقَّة بتعلومه) كما يقول الحضارمة بلهجتهم الدارجة ، وكثير من الشعوب تلجأ إلى التاريخ تلتمس منه الحكمة بوصفه مستودع التجارب الإنسانية، لكن الشعوب التي تقرا التاريخ ولا تتدبره حالها كحال الأفراد الذين تشبعوا بالخطب الرنانة التي تحث على مكارم الأخلاق دون أن يكون لها اثر أو تطبيق في سلوكهم بخاصة

عندما تصطدم بمشكلات واقعهم المعاش، وغالبا يتهم العرب بإدمان قراءة التاريخ دون التمعن في مراميه لهذا تجدهم يقعون فريسة سهلة لمن أراد بهم الشر من خلال استدعاء التاريخ بغرض الفتنة وخراب البلاد، وفساد العباد، ولكن العرب ليس بدعًا في هذا المضمار فحتى الغرب الأوربي لم تسعفهم حِكم التاريخ في الحد من صراعاتهم المذهبية والاستعمارية وما الحربان العالميتان – التي تسببتا في وفاة ملايين البشر – عنا ببعيد.

وقريب من هذا وفي باب الصدمات التي لها أثر إيجابي في حياة الناس صار لنا موقفٌ مع المؤرخ عبد الرحمن الملاحي يرحمه الله ، وقبل استعراض هذا الموقف تجدر الإشارة إلى أن الأستاذ الملاحي – الذي نال قبولًا مجتمعيًا لافتًا – تقلبت به سبل الحياة، وتشعبت مشاربها بين العمل في سلك التدريس، والعمل الإداري، والإسهام الثقافي الإبداعي ثم التفرغ للكتابة التاريخية بيد أن هذه التفرعات كما قد تبدو لم تكن تمضي معزولة عن بعضها بل تداخلت في شخصيته بحيث يصعب الفصل بينها لكنه اشتهر بالكتابة التاريخية وعشق التراث جنبا إلى جنب مع نشاطه المجتمعي الوطني، وعمله الرسمي.

وهناك ميزة مهمة تجدها في شخصية الملاحي، وعلاقته المنفتحة مع زوّاره وأصدقائه وتلاميذه فليس غريبا أن تجد في المجلس الملاحي الواحد السلفي والصوفي والليبرالي وغيرهم . كان يرى أن نقاط الالتقاء بين الناس أكثر من نقاط التباعد والتشاحن. وأن الأصل في العلاقات بين الناس هو احترام الاختلاف وتقبل وجهات النظر لهذا حرص أن يكون على مسافة معقولة من محيطه المجتمعي مما أكسبه مكانة سامية في قلوب من عرفوه، واقتربوا منه، وأضفى على مجالسه حالة خاصة من الاحترام والتبجيل.

وبهذه المعرفة عن مؤرخنا كنت مع ثلة من الأصدقاء نركز في أحاديثنا الودية معه في ما له علاقة بالتاريخ والثقافة والهم المجتمعي ولا تخلوا الجلسات من سرد الحكايات، وحديث الذكريات، والمواقف الطريفة، وعلى أية حال كانت لي مع المؤرخ الملاحي عادة حرصت على استمرارها إلى أيامه الأخيرة في هذه الدنيا، وهي التواصل عبر التلفون في ساعة محددة ويوم من الأسبوع متفق عليه غالباً ما أوافيه بالجديد في النشاط الثقافي في مدينة المكلا وأخبار أصدقائه في الحرف والكلمة والمواقف المجتمعية والوطنية وكنت أتعمد الابتعاد في

الحديث عن نشاط علمي كان يتابعه عن بعد وكنت طرفاً فيه لكنه تعثر لأسباب خارجه عن إرادتي ومع تكرار تساؤله وإلحاحه اضطررت إلى الشروع في ذكر الأسباب المتعلقة بالشخص المتهم بتأخير هذا النشاط، وبدا الأمر وكأنني بصدد السقوط في فصل من الغيبة الممقوتة في صديقنا المشترك فبسرعة حرف الحديث إلى وادٍ بعيد، وشعرت انه تركني متعمدا في شعب متخلي .....، صحيح الملاحي لم يقم ناصحاً، لكن رسالته وصلت في حينٍ من الدهر بأقوى من طلقات المدافع، وأسرع من أزيز الطائرات تعلمت بها درسا راقيا تغلغل في شراييني برداً وسلاماً..

الملاحي ... ما تزال الرحلة مستمرة

ورحل فارس الشحر وذاكرتها من هذه الدنيا إلى مستقرِّه الأخير، وتمت كلمة ربنا الحق. عادة في مثل مقام التأبين يذكر الناس مناقب الراحلين ويتوقفون عند محطات معينة لها دلالات خاصة في علاقاتهم تعود بهم إلى أيامهم الأولى أو ساعات اللقاء الأخيرة، وغالبًا يستشف من الكلمات المكانة التي يحتلها الراحلون في قلوب الذاكرين.

وكنّا قبل رحيل الأستاذ المؤرخ عبد الرحمن عبد الكريم الملاحي، وفي مناسبات متعددة قد أشرنا إلى بدايات علاقاتنا به، وألمحنا إلى ومضات من تلك العلاقة التي تدل في باطنها وفي ظاهرها على مشاعر محبتنا، وتقديرنا، واحترامنا لهذا الرجل صاحب القلب الكبير، والعقل المستنير، وإذا قِسنا مدة صداقتنا معه وارتباطنا به بين البدايات والنهايات فسنجدها غير موغلة في الزمن من حيث عدد السنين لكنها عميقة بالمقاييس الإنسانية، وغزيرة في معانيها العلمية، وكثيفة من حيث الأثر، والدفء .

وإذا كان المقال في مثل هذا المقام يفضل فيه لطف الإشارة التي تغني عن سعة العبارة – كما يقال – نجد من المناسب الإشارة إلى ملمح من ملامح تعاطي الملاحي مع تلاميذه ومحبيه وبخاصة أسلوبه عندما ينبه إلى أمر ما أو يسدي نصيحة مخلصة، وذلك في كلمات مختصرة لطيفة سمعت بعضها في أثناء جولاتنا البحثية التاريخية أو عند اشتراكنا في ندوة علمية أو محاضرة مشتركة، وبصرف النظر عن كنه تلك الكلمات فالمهم جمال الأسلوب الحضاري الناضج، ورقته، فهو رحمه الله ليس بالناصح الممل، ولا بالمادح المضل، وتجده أقرب ما يكون في مثل تلك المواقف إلى العناصر المشجعة يهفو إليها بحنان، وبما يجعلها قوية ويقظة ومتحفزة في نفوس مرافقيه ومريديه.

في موقف من المواقف التي أحسست فيها بحاجة ملحة إلى التشجيع والمؤازرة قررت الاتصال بأستاذي العزيز... في صباح اليوم التالي وفي انتظار الوقت المعتاد للتواصل معه، وبينما كنت أنتقد ساخطا بطء حركة الساعة ودقائقها الثقيلة ،سبقني وبادر بالاتصال، وبعد اختصاره للكلمات الاستهلالية الكلاسيكية ،عرض مشاريع وأفكارا تاريخية على درجة عالية من الأهمية

والصعوبة وحملني أمانة القيام بها، ودخلنا في التفاصيل ثم تعمد التحليق إلى فضاءات بعيدة مريحة.

كانت كثافة التلميحات لا تقل روعة في تلك المكالمة الاستثنائية عن الفضاءات التي سبحنا فيها بعد عبورنا أحشاء السحاب، فزادني من روحه الإنسانية النبيلة سموًا محميًا بالأمل، وقويًا بالثقة، ومشرقًا بالعزيمة بعد التوكل على الله العزيز الحكيم .

لقد علمني الملاحي الكثير؛ فهذا الرجل العاشق للتاريخ لم يكن إلا رجلًا مستقبليًا بامتياز؛ يدل على ذلك مشوار حياته الحافل.. وممَّا تعلمته منه: أن رحلة الحياة صعبة، ومشوارها طويل لكنه غير مستحيل..

نعم لقد غاب الملاح عن مقدِّمة السفينة لكن الرِّحلة ما تزال مستمرة، وما يزال ملاحنا الملاحي في مكان من الدفة غير بعيد، وسيظل سره على الفلك يجري مع الحالمين المستبشرين.

﴿ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (هود – ٤١)

صدق الله العظيم

الملاحق

الملحق (١)

بقلم المؤلف، تقديم كتاب

(صفحات من حياة الأستاذ عبدالرحمن الملاحي[1])

عندما تسلمتُ مسودة هذا الكتاب تبادر إلى ذهني أول ما تبادر البيت الشهير للشاعر محمد محمود الزبيري:

(ما كنتُ أحسِبُ أني سوفَ أبكيهِ ** وأنّ شِعْري إلى الدنيا سينعيهِ)

فنحن نميل مع من يرون أن الحديث عن الراحلين من الرواد والمصلحين والعظماء لابد أن يكون بمنأى عن أصوات النعي، وثقافة الموت الجامدة المدمنة البكاء على الأطلال، فالراحلون حاضرون بما خلفوه من عمل صالح، وعلم نافع.

وحين شرعتُ في تصفح أوراقه اعترتني مشاعر متداخلة من السعادة والحنين والشجن والأسى لم أستطع تحييدها؛ فكنت سعيداً لأنني سأكون عبر صفحاته بمعية رجل أحببته واحترمته من أول لقاء جمعني به، ومازلت على

[1] - تأليف أ. عادل حاج باعكيم، صدر عن مركز الدراسات الإنسانية والاجتماعية بجامعة حضرموت، عام ٢٠١٤م.

ذلك إلى ما يشاء الله. أما مشاعر الأسى التي نازعتني فرحتي فقد ظهرت من الفتور العام اللافت تجاه هذه القامة الحضرمية السامقة، فهو من جهة لم يعطَ حقه اللائق من التكريم الرسمي في حياته، ومن جهة أخرى وحتى كتابة هذه السطور – أي بعد مرور تسعة أشهر على غيابه – لم يُقم له تأبين يستحقه سوى فعالية محدودة في اتحاد الأدباء والكتاب بالمكلا. ومع هذا وفي غمرة هذا الجفاف تعود المشاعر الإيجابية أدراجها برفق، ولاغرو في ذلك فصفحات الكتاب زاهية بسيرة رجل تعلق بالله، وأحب الحياة وتقبلها – بحلوها ومرها – تقبل الصادقين المخلصين، كما تحكي الصفحات قصة رجل غاص في تفاصيل مجتمعه، وسعى ما وسعه السعي كي ينعم وطنه بالأمن والحرية ويسوده البناء والازدهار.

وقد ساعد الارتباط العلمي والوجداني بين مؤلف الكتاب والأستاذ عبدالرحمن الملاحي الذي امتد إلى زهاء عشر سنوات – وهي الأخيرة من حياة الملاحي – على خروج هذا الكتاب بهذه الصورة . فهو مزيج من المشاعر الفياضة التي يكنها غالباً المريدون تجاه أساتذتهم، ومن المعلومات المهمة والجديدة التي كشفت عن جوانب متعددة في شخصية الملاحي وعلاقاته مع

زواره ومحبيه، كما مكنت هذه العلاقة الخاصة من توثيق مؤلفات الملاحي وحصرها في هذا الكتاب بتبويب ظهر فيه ليس فقط جهد المؤلف بل أيضاً إخلاصه وتفانيه تجاه أستاذه وملهمه. ومع هذا هناك جوانب كثيرة ما تزال بحاجة إلى التوثيق والحفظ فصاحب الترجمة قامة علمية وشخصية اجتماعية مشهودة بمواقفها الوطنية، وبهذا فإن التجربة الملاحية الإنسانية ذات المشروع النهضوي تستحق الاستلهام والتوقف أمامها وتسجيلها بوصفها ذاكرة مجتمعية لها قيمتها في هذا الزمان الذي غفل فيه أهله وتكاسلوا عما يؤسس لحاضرهم، ويستعد لمستقبلهم.

وإذا جاز لنا الحديث عن بداية علاقتنا بمؤلف الكتاب في هذا التقديم الموجز، فذلك لأن هناك علاقة متسقة لا نظنها بعيدة عن موضوع الكتاب. فقد كانت غرفة الملاحي الشهيرة في بيته القديم هي حلقة الوصل ونقطة البداية، فعند زياراتنا المتكررة إلى الملاحي في مدينة الشحر لفت أنظار المثقفين القادمين من مدينة المكلا الشاب الصغير الصامت الملازم للملاحي؛ ولأننا (في الهم تاريخ) كشف الملاحي بنظرة تفاؤلية جوانب من اهتمامات هذا الشاب التاريخية، وبهذا تسلل عادل باعكيم عبر البوابة الصحيحة ومن المكان المناسب

إلى أن صار له نصيب كجهة مستقلة ضمن ما يرسل من نسخ لمجلة ما أو كتاب يقع تحت أيدينا (ومن أجل عين تكرم مدينة!) وواقع الحال فإن شغف باعكيم بالكتب كان لافتاً لاسيما وهو ينتمي إلى جيل الإنترنت والفيس بوك والمعلومة السريعة.

بعد وفاة الملاحي غادر عادل باعكيم مرحلة الصمت ولكنه لم يغادر محيط أستاذه الملاحي، إذ كانت البداية مداخلة تعريفية عن الملاحي قدمها في اتحاد الأدباء والكتاب بالمكلا أضحت فيما بعد النواة لهذا الكتاب التعريفي عن الأستاذ عبد الرحمن الملاحي وإسهاماته العلمية والمجتمعية، وهو بداية تجربته في عالم الكتابة. وهكذا كما مكث المؤلف في المكان الصحيح انطلق من الجهة المناسبة، ونتمنى له وهو القريب من الملاحي، والمطلع على معظم مؤلفاته المخطوطة، أن يكون عند حسن ظن أستاذه به، يكبر بالملاحي، و يكبر الملاحي معه.

المكلا

٨ /٨ /٢٠١٤م

الملحق (٢)

ألبوم الصور



الملاحي في بيتي



المؤلف والمؤرخ الملاحي



في بيت الملاحي، من اليمين : د.عبدالله باصميدي ، أ.د عبدالله الجعيدي
أ. محمد باهارون ، المؤرخ الملاحي ، أ. عادل باعكيم



المؤلف والمؤرخ الملاحي و أ. صالح الفردي



أثناء فعالية مشروع وثيقة حضرموت الرؤية والمسار



أثناء فعالية الذكرة الـ ٤٨٥ للغزو البرتغالي على مدينة الشحر



في مسقط ٢٠١٠م أثناء مشاركتهم بمؤتمر التبادل الثقافي بين اليمن وعمان





من اليمين : المؤرخ الملاحي ، أ.د. أحمد بن بريك ، المؤلف



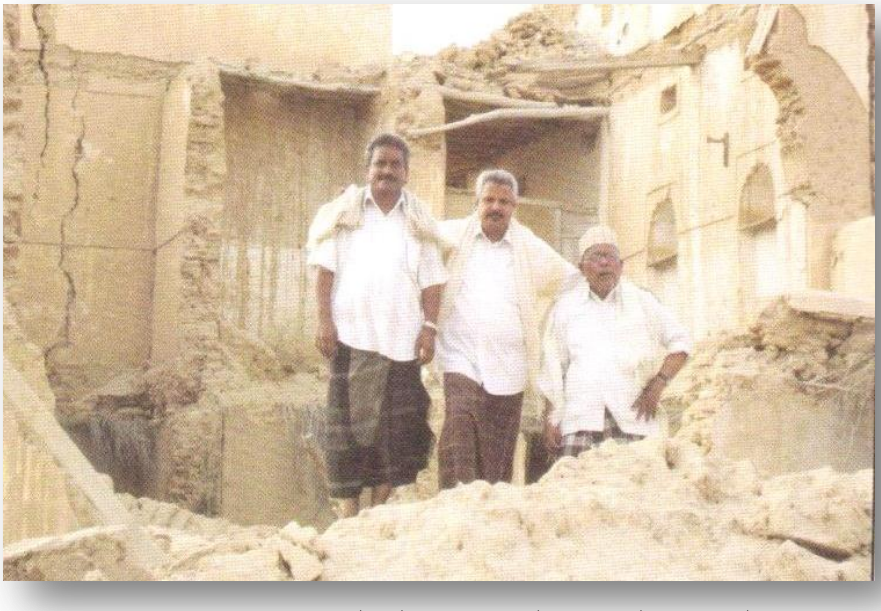
من اليمين : المؤرخ الملاحي ، المؤرخ حسن شهاب ، المؤلف



من اليمين : المؤرخ الملاحي ، د. أحمد رابضة ، المؤلف



في مسقط ٢٠١٠م أثناء فعاليات مؤتمر التبادل الثقافي بين اليمن وعمان



من اليمين : المؤرخ الملاحي ، المؤلف ، د. عبدالله باصميدي
على اطلال بيت القائم مخارش بالريدة الشرقية



أثناء النزول الميداني لبعض مناطق المشقاص





من اليمين : المؤرخ الملاحي ، المؤلف ، الشيخ محمد البسيري



لقاء مع بعض أعيان منطقة المحجر بالريدة الشرقية



من اليمين : د. عبدالقادر باعيسى ، د. رزق الجابري
د. سعيد الجريري ، المؤلف ، على السرير المؤرخ الملاحي



في بيت الملاحي

فهرس الموضوعات

الرقم	الموضوع	الصفحة
١	الاهداء	٤
٢	التَّقديم : الملّاحي والجعيدي .. نظراتٌ من الدَّاخل بقلم : أ. عادل باعكيم	٥
٣	توطئة	١١
٤	الملاحي والكتابة التاريخية في حضرموت	١٣
٥	عبد الرحمن الملاحي .. ذاكرة الشحر	٣١
٦	الأستاذ عبد الرحمن الملاحي ... المكان بالمكين	٣٦
٧	العلم... بين تقدير المال وغيرته (الملاحي نموذجاً)	٣٩
٨	الملاحي.. حِلْم المصلحين	٤٢
٩	المؤرخ الملاحي ... لسانك حصانك	٤٤
١٠	الملاحي ... ما تزال الرحلة مستمرة	٤٨
١١	الملحق (١) تقديم كتاب (صفحات من حياة الأستاذ عبدالرحمن الملاحي)	٥٣
١٢	الملحق (٢) البوم الصور	٥٩
١٣	الفهرس	٧١

هذا الكتاب:

يُعدُّ هذا الكتاب - الذي بين أيدينا - من أجمل ما كتب - خفيفاً رشيقاً - عن الأستاذ الجليل المؤرخ عبدالرحمن عبدالكريم الملاحي - رحمه الله تعالى-, كتب أستاذنا أ.د عبدالله سعيد الجعيدي بعضاً من مقالاته في حياة الأول والجزء الآخر كُتِبَ بعد وفاته, فالقارئ لمادة الكتاب - بحصافة - سيتبينَّ جوهر تلك العلاقة الإنسانيَّة العلميَّة الرَّاقية التي كانت - ومازالت - تربط بين الرجلين, والتي كنَّا شهوداً على جميع فصولها علماً وإنساناً.

كتب أ.د الجعيدي مقالاته تلك بأسلوبه الرشيق الرصين الذي تميَّزت به كتاباته الصحفيَّة, فتشاهده فيها ابناً وتلميذاً ومحبَّاً وصديقاً لأستاذنا الملاحي, عكست تلك المقالات خلاصة ما كنَّه وما انبعث بينهما من روحانية الكلمة واللحظة والعلاقة بل والانصاف لرجل قدَّم لمجتمعه كل ما يستطيع.

عادل حاج باعكيم